الخمريات

في شعر الؤاواء الدمشقي

م. د. شيماء نجم عبد الله
جامعة بغداد – كلية التربية للبنات

ملخص البحث

تعد الخمريات واحدة من الاغراض الشعرية التي اخذت حيزها في الواقع وفي الفن ولاسيما في العصر العباسي الذي يعد عصر امتزاج واختلاط وتجانس متنوع من الثقافات والتقاليد والافكار والمعتقدات فتلمح فيه روح التجديد وقوته وملامح التفرد والتمرد على كل ما هو قديم والذي تتضح اثاره ونلتمس متغيراته عن طريق عناصر الخلق والابداع التي تكشف عنها قدرته الشاعر من جهة وعلىالتشكيل والتغيير والتركيب من جهة اخرى ، فضلا عن اعادة رسم ما هو مالوف ومتداول برؤية وروحية مميزة تخرج اللغة والصورة الشعرية من دائرة التكرار وتكتب لشاعرها الخلود في فضاء الابداع الشعري .

وخمريات الواؤاء الدمشقي واحدة من الفنون التي ابدع فيها ناظمها عارضا فيها جمالية الشكل والمضمون بصدقية التعبير ونشوة الاحساس بتحرير النفس من الواقع المعاش فضلا عن تمثيل الذوق الشامي ، الذي عرف بالطراز المذهب خير تمثيل عبر محاور البحث التي مثلها بالزمان والمكان واللون والحركة ، فجاء خطابه الشعري حافلا بجوانب ابداعه بما يتضمنه من انفعالات واحاسيس جمالية وعاطفية اخاذة تكون الصياغة عنوانا لتلمس هذه المكامن الشعرية والشعورية ،وتكشف في الوقت نفسه عن ملكة قائلها الذي ينقل الواقع المرئي الى فضاء الابداع الشعري.

لايقتصر الفن على عصر دون آخر أو على زمان دون آخر ، ولايكون محصورا ضمن بيئة معينة ، ولاتحكمه قوالب ثابتة ، وانما هو متغير متجدد ويواكب واقع الحضارة والحياة التي يعبر عنها ، ويتفاعل مع ويعمل على تشخيصها والتغلغل الى دواخلها دون الاحتكار، أو الارتباط فقط بالتراث ، الذي ذهب به بعضهم الى حد القدسية التي لايجوز المساس بها وجعلوا قيم الفن ضمن أطر ثابتة ، من خرج عنها عدّ خارجا عن قواعد الشعر العربي . وعليه فلا بد أن يدرك المتلقي ان لكل عصر حساسيته اللغوية والذوقية ، وان الشاعر ينبغي أن يكون مغايرا

يخلق ويبدع ،ويحل روحه واداءه الفني الخاص في جسد اللغة دون تبعية ، ودون اتكال على أساليب وطرائق لاتنسجم مع متطلبات العصر الحضارية [1] . وادراك ان الخضوع للشكل المرسوم يلغي شخصية الفنان ، واستقلاليته ويحد من امكاناته وقدراته ، فقابلية الشاعر الفنية ، ومعايير الابداع التي يحتويها وقدرته على التذوق والاحساس بمن حوله من مستجدات تفرض عليه أن يمتزج بمفاهيم العصر وروح الحياة ، وذلك لان القوالب الجاهزة والتمجيد لعصر معين لايخلق جديدا ، وانما الجديد ينبع من الذات الخلاقة المتفاعلة مع محيطها ، وحاضرها دون أن ترزح تحت سلطان التقاليد، وتقديس القديم والذي يولد ركودا في الفكر وجمودا في العواطف .

فالفنان العظيم هو الذي يضفي طابعه ، واسلوبه الخاص به على العمل الفني بأن يخلق عالمه اللغوي الخاص بقوانينه التي تميزه عن غيره من الشعراء ((فيحطم الشكل والعلاقات والتراكيب التي فرضها المجتمع ، ويبني شكلا وعلاقات وتراكيب جديدة مستوحاة من تجربته ورؤيته))[2] مدركا ان اللغة تعد وسيلة للاعراب عما يحسه الانسان ويجول في فكره ومخيلته من افكار وصور كون الشعر لسانا للحياة ، وان نص الفن هو نص الحياة نفسه [3] .

وتعد الخمريات واحدة من الاغراض التي اخذت حيزها في الواقع ،وفي الفن ولاسيما في العصر العباسي الذي يعد عصر امتزاج واختلاط ، وتجانس متنوع من الثقافات والتقاليد ، والافكار ، والمعتقدات والتي انعكست بدورها على مرافق الحياة العباسية كافة فتلمح فيه قوة التجديد ، وملامح التمرد والتفرد الذي لم يعد يواكب قيم التقليد وتغليب التراث الذي أصبح في حاجة الى ان يعانق الجديد ،ويتفاعل معه كي ينطلق الى ما هو مبتكر ومتفرد يسكب فيه روحه ، وثورته وفي الوقت نفسه يعد مظهرا من مظاهر البيئة الجديدة والعصر الجديد .

فالخمريات غرض قديم ارتبط بحياة العربي منذ العصر الجاهلي وكانت عندهم من دواعي الفتوة والفخر ومن دلائل الجود والتمتع بالحياة نحو قول عمرو بن كلثوم التغلبي في معلقته [4]

الا هبي بصحنك فاصبحينا ولاتبقي خمور الاندرينا

مشعشعة كأنّ الحَص فيها اذا ما الماء خالطها سخينا

ولقد تفرد الاعشى عن شعراء الجاهلية بوصف الخمرة الذي كان غرضا من اغراض القصيدة الجاهلية واتسع حضوره عند الاعشى من غير ان يكون فنا مستقلا ، اذ ابدع في وصفها وهي عنده داء ودواء وملجا للهروب من الهموم اذ يقول فيها [5]

وكاس شربت على لذة واخرى تداويت منها بها

اما في العصر الاسلامي فقد اصاب الادب الخمري ركودا وخمولا وذلك بفعل تحريم شرب الخمرة وما تحدثه في النفوس من ذهاب العقل وقلة الادراك ، الا ان هناك من الشعراء من كانوا يذكرونها ، ونجد في قصائدهم نزعة وصفية طاغية الى ذكر أوصافها ،على نحو ما نجد ذلك في قول ابي محجن الثقفي الذي لم يتوان عن ذكر الخمرة على الرغم من اقامت الحد عليه زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رض) اذيقول فيها [6]

الا اسقني يا صاحبي خمرا فأنني بما انزل الرحمن في الخمر عالم

اما العصر الاموي فقد كان الاخطل زعيم شعراء الخمرة الذي لولاه لاندثر الشعر الخمري [7]، لكننا نجده كغيره من شعراء عصره كالوليد بن يزيد ، وابي الهندي والفرزدق والقطامي لم يعرضوا للخمرة بوصفها فنا مستقلا الا نادرا ، وانما دأبوا على ايرادها في تضاعيف ابيات قصائدهم ، أو في مقدماتهم المدحية على عادة غيرهم من شعراء الجاهلية [8] . فمن قوله في الخمرة وعدها مصدرا للالهام الشعري [9] .

فصبوا عقارا في اناء كانها اذا لمحوها جذوة تتاكل

وما ان يطل العصر العباسي حتى نجد فن الشعر الخمري يأخذ حقه ويجعل منه ابو نؤاس فنا قائما بنفسه[10] على اثر حالة التمازج والاختلاط التي المت بطبيعة الحياة العباسية وبروز الاستقرار وسمة الحياة المترفة والتي قادت الى شيوع هذا الفن وظهور ادب اختص بالديارات ، ومجالس الخمر ، فضلا عن القصص الخمري الذي اصبح له أصوله ومعانيه وقواعده [11]وشعر الخمريات عند ابي نؤاس اتخذ جانبا مميزا كما وتنوعا ، اذ أفرد له قصائد مستقلة كاملة لم يكتف فقط بوصفها شانه شأن من سبقه من الشعراء وهو ما قاد عمرفروخ الى بيان اهمية الشعر الخمري لديه الى القول انه قد زاد على كل ما تقدمه وفاق كل من جاء بعده في الخمرة لانه جعل منها موضوعات تامة ذات تفاصيل وقصر القصيدة على الخمر كما قصر عمر القصيدة على الغزل [12] . وهو في ذلك نجده قد واكب التطور الذي اصاب واقع الحياة وتمرد على كافة القوالب القديمة الثابتة التي لم تعد تجدي نفعا وتستقطب لها آذان صاغية وتأنف عن استعمال الحوشي الغريب ، فهي نبذت الشيح والقيصوم واستبدلته بالسوسن والريحان وبكاء الدمن باجواء الرياض والبساتين فكان عالم الخمرة عند ابي نؤاس يحمل دلالة اجتماعية وحضارية ، وتمرد على كل ما هو قديم ، ولايواكب الحياة العصرية ،. فهي ترمز الى حركة الحياة وصخبها وعصر الفكر الحر والنظرة المستقلة المعبرة عن عوامل الخلق والابداعية التي تفتح امام القارى آفاقا واسعة من التأمل بما توحي به من مناخ داخلي للذات ، اذ يتجاوز الشاعر

المبدع سطح المرئيات وكيانا تها الحسية لينغمر واياها في عملية خلق بارعة شديدة الرهبة والجمال [13] .وهو ما عبر عنه بقوله [14] .

لاتبك ليلى ولاتطرب الى هند واشرب على الورد من حمراء كالورد
كاسا اذا انحدرت في حلق شاربها أجدته حمرتها في العين والخد
فالخمر ياقوتة والكأس لؤلؤة في كف جارية ممشوقة القد

وما ان يقدم العصر الحمداني حتى نجد شعرائه قد استمروا بعد ابي نواس يتغنون بمعانيه في الخمر ويعرضون .

صورهم في ديباجات متجددة تقودهم الى التغني بها، والاكثار من وصفها وذكر مجالسها، والتغني بلطفها ومسامرة الندماء في اجوائها وما تثيره في النفس من نشوة اللذة والطرب ، فضلا عن وصف الكاس والساقي ، فأتوا في العصر الحمداني بكل بديع مستلمح ، ونظموا في كل طريف مبتكر ، واضفوا على صورهم من وحي خيالهم ، واسلوبهم المشرف ، يساعدهم في ذلك اجواء الطبيعة .فضلا عما الفوه من فراغ ، ونعمة قادت الى نظم كل ما هو جديد وجميل ، وتوليد المعاني والصور والاخيلة والتشبيهات التي البست كل ما هو قديم ديباجة وزينة متجددة [15] . وهو ما سنقف عليه في خمريات شاعرنا الوأواء الدمشقي (ت 370 ه) الذي عاصر وشهد حكم بلاط سيف الدولة الحمداني الذي لقي قبولا عند الامير الشاعر وكانت حياته في دمشق متقلبة بين العيش ورغد الحياة فبدأ فقيرا يعمل في دار البطيخ ومناديا على بضاعته في سوق الفاكهة ولهذا لقب بالوأواء [16] . وقد كان كغيره من شعراء القرن الرابع الذين حفل البلاط الحمداني بوجودهم من سقاء ،وخبازا ، ورفا ء، وطباخا ، اذ بلغوا مرتبة عالية في الشعر، وسارت دواوينهم واشعارهم في كافة ارجاء البلاد ، اذ اجتمع لسيف الدولة الحمداني مالم يجتمع لغيره من الملوك ،واذا كان الناس يسمون عصر الرشيد في بغداد بالعصر الذهبي ، فان الناس في دمشق وبقية الامصار التي سيطر عليها الحمدانيون كانوا يسمون عصره بالطراز المذهب[17] وان سبب كثرة بلاطه بالشعراء ، انما يعود الى انهم كانوا من عامة الشعب ، وكانت لهم ملكات هيأتهم للنظم بفضل مجالس العلم ، وحلقات الشيوخ التي هيأة للناشئة ان ينهلوا منها ما يشأؤون ، حتى يتخرج في هذه الحلقات كثيرون من الشعراء وغير الشعراء على نحو ما نجد صحة ذلك مما زخر به البلاط الحمداني والوأواء احدهم . وقد كان شاعرنا في شبابه فقيرا لايجد ما يسد رمق عيشه ، الان حياته قد تغير مجراها حين لزم شريفا من سادات دمشق ، ووجهائها يمدحه وهو الشريف العقيلي احمد بن الحسين العلوي الذي كان

جوادا مادحا والذي عن طريقه لمع نجم الوأواء في سماء الشعر والشعراء ،وهو الذي قدمه الى سيف الدولة عند قدومه عليه بين سنتي 333هـ و334هـ ومن عطاياهما اخذ الوأواء ينظم الشعر ويكتسب به وكانت لديه نزعة قوية للتمتع بالحياة ،اذ كان معظم شعره يدور ضمن محاور ثلاث هي " الغزل والخمر ووصف الطبيعة " [18] وقد يكون في هذا الاتجاه الذي سلكه في اشعاره يعود الى حالة البؤس والشقاء التي عانى منها في حياته كغيره من عامة الناس، وكنوع من التعويض الذاتي الذي ألم به ، اما المديح فلا نجد له في مدح كلا السيدين سوى ثلاث قصائد لكل منهما ، وان كثرة العطايا مما جاد به عليه كلامن الشريف العقيلي الذي واكبه في سن مبكرة وسيف الدولة الذي عاصر بلاطه في سن متأخرة قد قادته الى الاكتفاء الى السعي والجهد لكسب ما يعيش به ، ولقد كان الوأواء متحررا في شعره مقبلا على الحياة يقفو اثار من سبقه من اصحاب المدارس النؤاسية [19] .رافضا بذلك ما كان يدور من حروب وصراعات على السلطة والارض ورافضا كذلك التقاليد الاجتماعية المحافظة وذلك التيار الديني الذي برز في بلاد الشام وهو الفكر الشيعي كون الشريف العقيلي من آل البيت وشيعتهم ، فضلا عن كون سيف الدولة كان شيعيا اماميا ، فكان الاولى به ان ينظم القصائد في العلويين وما يتصل بعقيدة الشيعة نجده ينأى بنفسه عن هذا الصراع ، فلم يكن تكسب الوأواء بالمديح رغبة في ذاته بقدر ما كان مديحه وسيلة لبلوغ غايته من جمع المال ارضاء للذات والتمتع بنعيم الدنيا[20] وبذلك قلة قصائد المدح في ديوانه واتجه الى ما يعبر عن نفسه دون الخضوع لاي قيد، وأتخذ من الخمرة رمزا ينقل عن طريقه كل ما يجيش في صدره من احساسات ، وما تتفاعل به نفسه من رؤية تجاه مجتمعه ، وانتقل بطريقة خاصة اثبت فيها نفسه وقال فيها مالم يقل مثله ، وادرك الوأواء الدمشقي ((بان المعيار الوحيد للفن هو النشوة أو الغبطة وان أفتقادها يعني افتقاد الفن وان تجاوز الواقع والاحساس بالنشوة هما معيار صدق العمل الفني))[21] فجعل قوام مذهبه كيف يعيش وكيف يبدع عالمه الشعري ، وكيف يقتنص اللحظات الجميلة قبل وقت الانطفاء والموت ،فكانت الخمرة وسيلته في تغيير وظيفة الزمن بما تمنحه للواقع المعاش من غبطة وسرور وما تمنحه من قوة قادرة على تحدي صروف الزمن بتحرير النفس من الخوف والمجهول والقمع الفكري [22] . فمثل الوأواء الدمشقي عن طريق خمرياته الذوق الشامي خير تمثيل وهو ما سنجده عبر محاور البحث المتصلة ب "الزمان ، والمكان ، واللون ، والحركة" .

1-**الزمن** : للزمن اهمية كبيرة كونه على ارتباط وثيق بالانسان فهناك الزمن الوقتي أو الكوني الذي يقاس بالدقائق والساعات والايام والليالي موزعة على الليل والنهار ، وعلى الصبح

والمساء ، والسحر والفجر ، اذ يستنبط الشاعر الذي يمثل ابن المرحلة منها حالة يفهمها بلغة خاصة ويعبر عنها بلفظة خاصة[23] . تمثل الزمن النفسي المرتبط بالذات الانسانية ، اذ يعبر عن ((حركة شعورية تدفع تيار الذكريات الى ان ينثال بالصور المختزنة والخبرات المتراكمة ، فالماضي يمتد بتمامه في الحاضر ، ويظل فيه حاضرا ومؤثرا وهو يضغط تلقائيا على الحاضر ، ويدعو الى انبثاق صور جديدة ، صور بصرية وحسية وسمعية تزيد من خصوبة الحياة وثرائها))[24] . وعليه فان الاقتران بين الزمن الحسي والزمن النفسي ، يقود الى ايجاد زمن الشاعر ، أو زمن المبدع والذي يفصح عن طريقه عن الزمن الفكري الذي يعرض موقف الشاعر من الحياة والناس وما يسود المجتمع من سياسات ، واختلاف في موازين القيم الذي يولد موقفا وجدانيا يعبر فيه عن فكره ونفسيته ، ويظهر في الوقت نفسه قوة ارادة الشاعر على التعبير عن حركة وجدانه في شعره [25] وبذلك نجد ان الزمن قد انطوى على دلالات نفسية وفكرية وتأملية عميقة يتخذ منها الشاعر المبدع وسيلة للتعبير عن خلجاته ودواخله اذ يشكل الليل عنصرا مهما من عناصر الزمن ويرتبط ارتباطا مباشرا بأخيلة الشعراء ، وخواطرهم ، اذ يعد لديهم منفذا لتصوير ما يعرض لهم من الهموم ،والفكر ومطاوعة السهاد ،ولعله من اكثر الازمنة اثارة لمعاني الوحشة والظلمة والتوحد مع النفس [26] . وللخمرة مع الليل شأن طريف ،وظريف في آن واحد عن طريق سواد ليله الذي تزخرفه النجوم والذي يشكل موعدا لوقت ظهورها ،واجتماع ندمائها ،وبروز كؤوسها ،وشدو المطربين بين اجوائها . اذ يجعل ما في الكون من اجرام طوع بنانه موجدا تمازجا جميلا بين افلاك السماء ،ومادية الاشياء اذ يقول [27]

رب ليل اطلعت في	ه بدور من جيوب
يتناهبن شموس الرا	ح في كأس وكوب
حضرت فيه الذاذا	ت بفقدان الرقيب
وتأملت الثريا	في طلوع ومغيب
فتحيرت لها التشب	يه في المعنى المصيب
هي كأس في شروق	وهي قرط في غروب

فالزاواء يعرض لنا مجلس خمر ويصف ما فيه من اجواء ،ومشاهد ومن يقوم على ادارة هذه المجالس من الجواري اللواتي استعار لهن لفظة بدور وما يقومن به من حركات تقوم على سقي الخمرة ، وتداول الشراب بين جلاسها وطالبيها ويستعير لهذه الخمرة شموس الراح ،

وذلك كي يعرض نوعا من التضاد اللوني في ذلك الليل البهيم الـذي تنثـال عليـه الاخيلـة، والتشبيهات في ايجاد ما يكمل هذه الصورة المنيرة بأفلاكها من بدور وشموس ، ثم يستمر في عرض اجواء هذه الليلة ويوحي للمتلقي بأنه مداوم على السهر والسمر ،وشرب الخمر من بداية الليل حتى ختامه عن طريق وصفه للثريا وتأمله اياها من بداية ظهورها وحتى مغيبها وشروق الصباح ، فهي في اول الليل تشبه في تشكيلها بالكأس المشرقة في دلالة على بداية مجلس اللهو والمجون ، ويصفها في ختام ليلها وميلها نحو الغروب بالقرط فـي أذن غانيـة جميلـة تهـم بالرحيل. فالشاعر هنا قد عمد الى حدقة ((هي حدقة بصرية تتصل بـالحواس وتقـف عنـد جدارها ، انه نوع من الخيال الخارجي الذي يعظم الاشياء دون ان يبدل من طبيعتها او ينفـث فيها روحا))[28] . كما نجده ايضا يرسم صورة لليلة خمرية معتمدا على التشبيه في ايصال هذه الصورة بقوله [29] .

الكاس قطب السرور والطرب فاحظ بها قبل حاجز النوب
اما ترى الليل كيف تكشفـــه رايات صبح مبيضة العذب
كراهب حنّ للهوى طربـــا فشق جلبابه من الطرب

فهو يجعل كأس الخمرة القطب الذي تدور حوله متعة النفس وعنصر النشوة ، والغبطة التي تقوده الى جميل الخيال والتصوير عبر تشبيه الليل الذي بدأت علامات الـصباح تختـرق ظلمته بالراهب الذي شق لباسه الاسود حنينا الى ايام الطرب واللهو في الديارات قبل ترهبنـه في الاديرة . فالشاعر أظهر هنا ان نفاسة التشبيه لاتقاس بنفاسة المشبه به ولكن تقاس بحـس تخيله وتصوير احساسه ، ومدى قدرته النفسية على التصوير لا القدرة الاليـة التـي تحـاكي المناظر الظاهرة [30] . اما الصباح فله دوره الى جانب الليل وهو اول النهار ونجـد الـزواوء الدمشقي يدعو ساقي الخمر الى مداومة سقاية الخمرة من اول الليل حتى اول النهار اي انبلاج الصبح وهو الوقت الذي يبلغ فيه شارب الخمرة حالة الفقدان والاحساس بالنشوة التي تقوده الى التجرد عن الواقع بفضل دبيب الخمرة في مفاصل اعضائه التي تقوده الى نسيان واقعه وتجاوز آلامه واحزانه وهو ما عبر عنه بقوله [31] .

ادر يا غلام كنـوس المدام والا فيكفيك لحظ وريق
وحث الصبوح لوقت الصباح فمتسع الهم فيه يضيق

كما ويدعو الزواوء ساقي الخمر الى مباكرة معاقرة الخمرة ضمن اسلوب الامر في دلالة على تعلقه بالخمرة وشغفه بها ، فلا يترك الوقت يذهب سدا دون ان يستغله في معاقرتها مشبها

اياها بالشمس التي تنيرظلام الليل قبل ظهور شمس النهار ، وساقيها بالقمر ، فجمالية الصورة الخمرية تكمن في هذه الاضداد التي توظفها في خمرياته اذ يقول [32] .

قم ياغلام الى الشمول فهاتها قبل انتشار الصبح في الافاق

فكانها شمس تنير بها الدجى وكأنه قمر تحولّ ســـــــاق

ولعل التنوع البيئي في دمشق ، وجمال طبيعتها يوقظ في شاعر كالزواوي رهافة حس وقدرة على التخيل ورسم الصور الفنية مستوحاة من اجوائها التي تقوده الى ان يتلقف مظاهر تكوينها ليعد تشكيلها بصور تشد الانتباه وتلفت النظر ويعد الربيع واحدا من الفصول الذي كثر التغنـــي بجماله من لدن الشعراء ولاسيما في وصف الخمرة ومجالس لهوها وطربها اذ تغدو الطبيعـــة فيه بكل اجوائها ، وكانها قد خلعت رداء الشيب والبست رداء الشباب فكل ما فيها يانع زاهر . ونجد الزواوي الدمشقي يوظف هذا الفصل وما فيه من مناظر ويعكس صورته علـــى وصـــف الخمرة ، فاذا ما قدمت اليه غدت رائحة الشراب كطيب نسيم ريح الصبا ،امـــا مـــذاقها ومـــا يعتري شاربها من نشوة تعيده الى زمن الصبا والشباب عن طريق جمالية الجناس التام الـــذي يعرضه ضمن صورة ذوقية شمية في وصف صورته الخمرية اذ يقول [33] .

يطوف براح ريحها ومذاقها نسيم الصبا والعيش في زمن الصبّا

2.المكان :

اما المكان فنلاحظ عبر استقراء الخمريات ان للطبيعة دورها في تهيئة اماكن معينة لهـــا صفات ومزايا متشابهة ومختلفة ، وعليه فان الفن والشعر على وجه الخصوص يمنحنا الكثيـــر من الاماكن التي تتنوع اوصافها على وفق روى الشعراء وتجاربهم .[34] وبذلك فـــأن اجـــواء احتساء الخمرة ترتبط ارتباط وثيق بالمكان . وهي علاقة قديمة نشات منذ ان تعلـــم الانـــسان احتساءها ، وتتجلى فعالية المكان في المشهد الخمري عن طريق المجلس او الحانة او الحدائق او الاديرة و الندمان .[35] وبذلك قلما نجد مقطوعة خمرية تخلومن اوصاف الطبيعة ، فتغـــدو الطبيعة هي المحرك والمحفز الذي يدفع الى تعاطيها مما يؤدي الى نشوء ذلك التمازج والتلازم بين وصف الطبيعة ،والحديث عن الخمرة ومجالسها . [36] . وقد تفنن الزواوي الدمـــشقي فـــي رسم لوحة من اجواء الطبيعة لمكان شرب الخمرة بريشة الفنان المبدع الذي يجعـــل المتلقـــي يعيش في اجواء تلك الرياض عن طريق الطبيعة الضاحكة التي تبعث اللهو، والمرح وتجعـــل قريحة الشاعر تجود باعذب الاوصاف لتلك المجالس التي تحتضنها الحدائق والبساتين الغناء ،

وتكون الملهم في اقتباس الصور الخلابة تحت افيائها وظلالها الجميلة . [37] وهو ما عبر عنه بقوله [38]

رض ياغلام على الروض النظير لنا كأس المدام وداوم رنة الزير
اما ترى النرجس المياس يلحظنا لحاظ ذي جذل بالغيث مسرور
كان احداقه في حسن صفرته مداهن التبر في اوراق كافور
كان طل الندى فيه لمبصره دمع تحير في اجفان مهجور

اذ يلجا الى جمالية التشخيص عن طريق صور التشبيه والاستعارة كي يضفي على وصفه صورة بصرية وحركية لاجواء ذلك المجلس الذي ضمته احضان الطبيعة فالنرجس يلحظه بنظرات المسرور بسقوط الغيث ، وتغدو احداق ورده كانها مداهن الذهب قد لفت في اوراق من الكافور ، اما طل الندى وبقايا الغيث على زهر النرجس فتتداعى اليه صورة الدموع التي تترقرق في اجفان من هجرهه احبابه وذهب عنه اصحابه فشدة النشوة والشعور بالغبطة تارة ،وبالحزن تارة اخرى هي التي قادت الشاعر الى تخيل هذه الطبيعة حية نابضة متأثر بعاطفته التي جعلت من الطبيعة انعكاسا عن مرآة خاصة هي نفس الشاعر ،وملونة بالوان مستمدة من شخصيته ومزاجه .[39] وهو ماعبر عنه ايضا بقوله [40] .

ذرى بشجرللطير فيه تشاجر كان صنوف النور فيه جواهر
كأن القماري والبلابل بيننا قيان واوراق الغصون ستائر
شربنا على ذاك الترنم قهوة كأن على حافاتها الّدر دائر

فالشاعر عن طريق هذه الاجواء الساحرة التي يصورها بفعل نشوة الخمرة نجده كان على وعي تام بمستجدات الحضارة ، اذ ينقل مل يجده في القصور الى ظلال تلك الطبيعة التي تجعل السامع في دوحة قصر ، وليس في روضة من البساتين بفضل الفاظ ك " الجواهر ، والقيان ، الستائر ، الدر " فخياله الخصب يجعل من المألوف والمعتاد يتحول الى ((صور حركية تهيء واقعا فنيا يختلف عن الواقع الخارجي في غلظته المباشرة ، ولايفتأ هذا الواقع الفني يستثير فينا مزيدا من الدهشة والتأمل والكشف عما توحي به الصور من دلالات مركبة))[41] فاظهر لوحات خمرية تفيض بعنصر الحركة ،والخيال بفعل ولهه الشديد بالخمرة وتعلقه بها . وهو الامر الذي قاده ايضا الى التغني بعمر الخمرة وقدمها ، فهي قديمة قد عتقت كي تزداد جودة وتأثير في نفوس مريديها . ثم يصف طريقة عملها عن طريق عنصر

التشخيص بوصفها مخلوقا يصرع بأرجل العصار في دلالة على مدى تآلفها مع نفسيته بطريقة حسية ، وكانه يصف ويصور معركة محتدمة ،وقتال يدور بين الخمرة وعاصيريها . فما ان تلين لهم معلنة استسلامها ،وفوز خصومها حتى تنادي بطلب الثأر منهم ،واخذ البابهم وهو ما عبر عنه بقوله . [42]

عقرت لهم معقرة لو سالمت ... شرابها ما سميت بعقار
ذكرت طوائلها القديمة اذ غدت ... صرعى تداس بأرجل العصار
لآنت لهم حتى انتشوا فتمكنت ... منهم ونادت فيهم بالثأر

فالشاعر لجأ الى عنصر التشخيص كونه يمكنه من ان يلغي الثنائية بين الذات والموضوع ، ويستطيع بفضله ان ينوع وينتقل من وصف الى اخر على وفق درجة التقمص الوجداني التي تلم بالشاعر والتي تقوده الى ان يضفي مشاعره وعواطفه على ما يحيط به من موجودات . [43]

3.اللون :

اما اللون فنجد ان الشعراء قد وظفوا اللون في اشعارهم ، ذلك لأن الشعر هو الذي يظهر ما يظل مختفيا في اللغة العادية ويفجر الطاقات الكامنة فيها . وان الشاعر له القدرة على ان يجعل من الالوان تحمل دلالات جديدة ،ومتنوعة تؤثر في نفسية المتلقي . وهو بذلك لايختلف عن عمل الفنان الرسام ، فكلاهما ينهلان من نبع واحد هو الطبيعة ،او البيئة المحيطة بهما ، لكن الاختلاف يكمن في طريقة عرض الصورة المتشكلة من اللون ، فالشاعر بقدرته الابداعية يرتفع باللغة من التجريدية الى الجمالية ، اما الفنان فيستعمل الالوان عن طريق تمازجها ، وتشكلها لتكوين لوحة موحية وجذابة في الوقت نفسه . [44] وبذلك يتحول اللون الى دال اذا ما وضع في سياق لغوي لما يمتلكه من فاعلية بصرية تخاطب الوجدان ،والشعور مخاطبة وجدانية ولما له من دلالة في بناء الجملة الشعرية . [45] فاللون في الشعر لا ياتي بوظيفة زخرفية فحسب بل له اتصال وثيق بالنفس البشرية وتطلعاتها . فهو يعبر عنها ويثري التجربة ،والمعنى بما يثيره من احساسات مبدعة وايحاءات تمزج بين الحياة وميدان الفن .[46] ولعل هذا يؤكد على ان مشكلة الفنان الاساسية تكمن في قدرته العظيمة على التشكيل وهو الامر الذي يتطلب من الشاعر ان ينسلخ عن واقعه الى نوع من التصور الفني الذي يؤدي فيه اللون دورا مؤثرا ، اذ يعمد الشاعر عن طريقه الى التجسيد او التشخيص، او الايحاء او تراسل المدركات، فيتوحد لديه عالم الالوان بالعالم الشعري ،وتغدو لديه رؤية خاصة يعيد فيها تشكيل الواقع تشكيلا جديدا منتسبا اليه دون

سواه [47] . بفضل تداخل فعالية التخيل في هذه جميعا ، فتمكن الشاعر من ادراك التناسب بين الاشياء واكتشاف علاقات جديدة تجمع المتفاوت والمتباين في وحدة متجانسة .[48] يغدو الشعر بها ضربا من السحر او النشوة . وتحتل الالوان جانبا متميزا في لوحات الؤاواء الدمشقي الخمرية ،اذ يوظف اللون الاحمر في وصف خمرته ، فاذا هي في لون النار وذلك نحو قوله[49]

صاح هات العقار حمراء كالنا ر ودعني مما يقول العذول

كما ويلجا الى الاحجار الكريمة لتجسيمها كونها تقدم في اقداح من الفضة في داخلها ياقوت احمر تصفو وترق في الكأس حتى تشبه دمعة من هجرمن الاحبة ضمن لوحة بصرية يمتزج فيها الجانب الحسي بالمعنوي كي يزيد من شدة تأثيرها في نفس المتلقي ،اذ ينقل من الصورة البصرية القائمة على وصف لون الخمرة وصفائها الى لوحة نفسية تحاكي احساس الشاعر ووجدانه بهجره محبوبه ، ودعته الى تشبيه صفاء حبب الخمرة بدمعة المهجور وهو ماعبر عنه بقوله [50]

ناولني من كفه قهـــــوة تضيء من نار ومن نور
ضياؤها في الكأس ياقوتـــة تضحك في احشاء بلور
صنعت ورقت فهي في كأ سها كأنها دمعة مهجور

اما اللون الاصفر فيعد من الالوان المحببة للنفس وهي ترمز الى الضوء والشمس والذهب ، فضلا عن اللمعان والاشعاع واثارة الانشراح ، ويربط بعض العلماء بينه وبين البياض وضوء النهار للدلالة على التحفز والتهيؤ والنشاط [51] . ونجد الؤاواء الدمشقي قد استعمل اللون الاصفر وسيلة من وسائل التعبير عن لون الخمرة في وصفه ،لها اذ رسم صورة وصفية بصرية تعتمد على الخيال والتشخيص بقوله (عذبتها ، فأبتسمت) التي اسندها الى الخمرة ثم يعمد الى الخيال عن طريق وصف الخمرة بالذهب الذي أفرغ في كؤوس من الفضة،في دلالة على صفرتها المشربة بالخمرة فشبهها بالذهب ، اذ يقول [52]

عذبتها بالمزاج فأبتسمـت عن برد ثابت على لهـب
كأن ايدي المزاج قد سكبت في كأسها فضة على ذهب

كما ويوظف التشخيص في بيان الدلالة اللونية للخمرة ،اذ تصبح لديه الخمرة وكأنها مخلوق ذو شخصية تأتلف بذاته ،وتتصل بأعمق اسرار نفسية فينتقل بها من الحسية الى المعنوية ، ذلك

لان الخمرة تسيطر على الزمن وتمنح شاربيها القدرة على اخضاعه لمشيئتهم ، فهي تملك طاقة التبديل والتغيير ، التي تولد المتعة التي تمنح القيمة للحياة فتوالف بين الاشياء وتبطل منطق الزمن العادي ،وتهدم سجن الحياة كونها توجد نشوة التألف بين الذات والعالم . [53] . والتي تمكن الشاعر من اكتشاف صورة ولون ومعنى جديد ويرى في كل مادة حياة جديدة ويتوجه الى فضاء الفكر بحرية ((فلا يحزن لتبدل الاشياء واختلافها فالمرئيات والمسموعات كلها ناطقة عما في نفسه والطبيعة لا تتحرك الابما يتحرك به قلبه)) [54] وهو ما عبر عنه بقوله في وصف خمرته [55] .

راح اذا استنطقتها بالمزاج يد تكاد تخرس عنها ألسن الحدق
كأنها خجل في كأس شاربها فاجاه عند مزاج صفرة الفرق
أو مثل وجنة معشوق اذا نثرت يد الدلال عليها لؤلؤ العرق
كأن ما بيض منها في مورده كواكب نثرت في حمرة الشفق

فهذه اللوحة تكشف عن براعته في توليد وصياغة المعاني ،وتؤكد على مدى النشوة والغبطة والمتعة التي تسري في نفسية شاربها،وتقوده الى هذا المزج بين ماهو حسي ومعنوي ضمن صورة بصرية وحركية قائمة على قوة الخيال وجمالية التشخيص ،ذلك لان الشاعر المبدع هو ((الذي لايكاد ينفعل حتى يمده الخيال بفيض الصور التي تجعله يشاهد مشاعره بقدر ما يشعر بها)) [56] وهوما عبر عنه الواواء الدمشقي عن طريق لون الخمرة . وفضلا عما تقدم من زمان ومكان ولون ضمن محاور خمريات الواواء ، فأن للحركة دورها في وصف صوره الخمرية اذ تعد الحركة جانبا أساسيا في تشكيل الصورة ولاسيما في النسيج الشعري ، وهي أبرز سمة للصورة البصرية ،اذ تتحول بها الصورة من ركن الجمود الى ركن الحياة ،بفضل عنصر الحركة الذي يعبر عن تجارب الشاعر الذاتية ويصور ما ينعكس على صفحة روح الشاعر ، وما يرسم في عقله وقلبه من خواطر واحاسيس ،وقد يكون العالم الحسي المدعوم بالخيال في مقدمة ما يحتاجه الشاعر في تشكيل الحركة التعبيرية ،فضلا عن الجانب الوجداني الذي يؤدي دورا فاعلا في بناء الصورة الحركية التعبيرية في الشعر وتكون مرجعا لتجاربه ومشاعره التي تعينه على تحديد مسارات رؤيته الفنية [57] . وبذلك نجد ان بواعث الحركة في خمريات الواواء الشعرية قد تكون حركية حقيقية في اشياء تملكها في ذاتها ، او متخيلة في ذهن الشاعر بأضفائها على الاشياء، كحركة الساقي ،وحركة سريان الخمرة لدى الشارب ،فضلا عن حركة الطبيعة [58] . اذ يذهب الواواء الى وصف ساقي الخمرة شكلا وهيئة كونه يماثل البدر

في جماله وكما له ، والغصن في قوامه ثم يعرض وصفية تمثل حركة الساقي وهو يقدم عليه حاملا كأسين ، كأس المدام أي الخمرة ،والثانية كأس الغرام لبيان شدة تعلقه بالخمرة وولهه بساقيها، فاذا به يغتنم فرصة شرب المدامين معا في دلالة على النشوة والغبطة ،اذ يقول [59]

وساق حكى البدر والغصن لي فذابالتمام وذا بالقوا م

سقاني بكأسين في مجلس بكأس المدام وكأس الغرام

اما حركة الكأس ودورانه فله نصيبه في وصف خمرياته، اذ شبه الكأس وهو دائر بين ندمانه بالهلال الذي يبدا المحاق بالسير نحو اكتماله في دلالة على نقصان الخمرة في جوفه ،فاذا ما مزجت وأمتزجت ألبست الخمرة لون الشمس الذهبي وقت الزوال دلالة على سحر الخمرة التي تقوده الى أختيار ((السبيل السهل في التشبيه حين تعلق ببيئته الخاصة وهو امر قد يرتبط بظروفه النفسية في لهوه ومجونه مع ندمائه ، فلا يهمه تعميق الصورة او الاغراب فيها قدر ما يهتم بسهولة صياغتها))[60] وهو ما عبر عنه بقوله [61] .

وترى الكأس دائرا كهلال سار فيه المحاق عند الكمال

فاذا أفتضها المزاج كساها حلة الشمس عند وقت الزوال

ونادرا ما تخلو خمريات الؤاواء من تشبيه بالكواكب أو النجوم ،أو الشمس ،أو الشعاع أو القبس [62] . وهذا يعود الى بساطة الاسلوب الذي يخلع على المعا ني المالوفة حلة جديدة بفضل اختيار اللفظ المتناسق مع المعنى الذي يظهر قدرته على الابتكار والتجديد [63] . – وهو ما نجده بقوله [64] .

وسماء الكأس انجمها برد يعلو على اللهب

اذا ما الماء خالطها دب فيها من نشوة الطرب

ونجده ايضا يعرض صورة وصفية يمزج فيها بين الكاس ،وساقيها جاعلا ما في الكون من اجرام طوع بنانه بفضل نشوة الخمرة التي تجعله يحلق في عالم اخر قائم على الخيال ومستغنيا عن وصفها بشكل تقريري وهو ما عبر عنه بقوله [65] .

وكأنها وكأن حامـــــل كأسها اذ قام يجلوها على الندماء

شمس الضحى رقصت فنقط وجهها بدر الدجى بكواكب الجوزاء

وللندماء مع مجالس الخمرة نصيب في لوحاته الخمرية عن طريق جديد ما يعرضه من معالجة فنية تقربه الى حيز الابتكار، والابداع وهذا يعود الى فعل الخمرة وسحرها التي ((تنبه

الذهن وتبعث الخيال فيتذكر الشارب ما كان ناسيا ويجري على لسانه من القول ما لايستطيعه لو كان صاحيا وهي فوق هذا تضاعف الشعور))[66] . الذي يؤدي الى بديع الوصف وتنوع الرؤى الفنية وهو ما يعرضه الوأواء عن طريق الامتزاج اللوني الذي يوجده في لوحته بين النديم الذي يشبهه بالبدر، والخمرة التي يشربها بالشمس ،اذ نجده هنا يحيل الظواهر الى صور ورموز ويرى عبرها ملامح ،وانعكاسات عالم اخر اذ تغدو الطبيعة فيه مرآة لروحه [67] وفي ذلك يقول[68]

مازال يشرب شبه ما في وجنتيه من اللهيب
حتى انثنى وكأنما في كأسه قبل المغيب
بدر يقبل عارضا للشمس في وقت الغروب

ونجد الوأواء لشدة ولعه بالخمرة وتأثيرها فيه يذهب الى تصوير تأثير الخمرة في نفس شاربها وسريانها ودبيبها في اعضاء جسده وما تولده في نفسه من جموح وعدم مبالاة وما ينتابه من احساس بالنشوة ، فضلا عن كونها تكشف عن عالمه الداخلي الذي يرفض الواقع ويتمرد عليه ،وتكون الخمرة الملجأ الذي يلجأ اليه كنوع من الهروب من المحيط الذي يعيشه ، فلا خوف عليه من الموت فقد اعتاده لان الخمرة اما تنه من قبل ولن يموت موتا ثانية ، ثم ينتقل ليصف الخمرة بأنها رمز للسعادة ، وتحيل همومه الى افراح وتطرد احزانه كونها تجري في عروقه ،وفي جسده مجرى الارواح في الابدان في دلالة على قدرته على التعبير عن تجربته الذاتية ،وما تتركه من اثر في نفسية شاربيها بنقلهم الى عالم اخر من النشوة والطرب ،وغياب الحاضر .وهو ما عبر عنه بأسلوب طلبي ودعوة الى السكر ،والثمالة بقوله [69] .

اسقياني ذبيحة الماء في الكأ س وكفاعن شرب ما تسقيان
انني قد أمنت بالامس اذ متّ بها ان اموت موتا ثاني
قهوة تطرد الهموم اذا ما مكنت من مواطن الاحزان
فهي تجري من اللطافة في الار واح مجرى الارواح في الابدان

وهذا يتوافق مع ما ذهب اليه الجاحظ في وصفه للخمرة بقوله ((ان البنيذ اذا تمشى في عظامك ، ودب في اجرامك ، منحك الصدق الحسن ، وسد عنك باب الغم ، وحسم عنك خاطر الهم))[70] . فالشاعر هنا يتحرر عقله من سلطان المادة ،ويصبح الشعر لديه رؤيا في روح الانسان فتكشف الكلمة لديه عن حالات نفسه ، والصورة عن المعتم في داخله، وينفذ ببصيرته

الحادة الى ما تخبئه المرئيات من معان ،واشكال فيفتح العيون على ما فيها من روعة . [71] . فالخمرة لديه هي الحياة في جانب من التصريح المباشر بمدى قدرتها ،وتأثيرها وعرض قائم على المبالغة الطريفة في وصفها ولما تبعثه من نشوة وطرب حتى في الماديات من حجارة وجماد فكيف الحال بالنسبة للانسان ،اذ يقول [72] .

هي الحياة فلو تأتي الى حجر لولّدت فيه منها نشوة الطرب

كما ونجده ايضا يصل الى حد المجون والاسراف في العبث متبعا في ذلك النهج النواسي من عدم المبالاة ،وبيان شدة هزله ومجونه التي تقوده الى ان يجعل للكأس قبلة يتوجه نحوها ساجدا اليها في دلالة على درجة الثمالة التي تجرده من الوعي ،والادراك،فلا يعي ما يقول لشدة الانقياد نحو هذه الخمرة ،فضلا عن ذكر الصلاة التي تقام على فتى قد مات من شدة السكر، والثمالة وقد أقيمت له بغير أذان .ولعل في هذا الوصف سخرية وتمرد من الواجب الديني ،والتباهي بالمعصية وعدم التسترفي طلب اللذات ؛لان قيمة الحياة عنده تقوم على البحث عن اللذة .وهو في ذلك اتبع المدرسة النواسية التي لم تخضع الى اي قيد أو مذهب ، لان هدفه كان قائما على تمثيل الحياة وليس البحث عن هدف اخلاقي [73] . فاتخذ من هذا التمرد سلاحا يؤكد به حريته واستقلاله ويحقق به وجوده الفني ،والذاتي وهو ما عبر عنه بقوله [74] .

لاطعت العذول في لذة الكأ س ولالمت عاشقا في الزّمان
سأطيل السجود في قبلة الكأ س بتسبيح ألسن العيدان
كم صلاة على فتى مات سكرا قد أقيمت فينا بغير أذان

الجمع بين الضدين:

ومما يدخل في حيز الحركة ايضا الجمع بين الضدين او النقيضين ، والضد اوالنقيض هو المخالف وناقض مناقضة اي خالفه ،ونقيض كل شي عكسه ،والنقيضان الامران المخالفان بالذات بحيث لايمكن اجتماعهما بوجه واحد [75]ويرتبط الجمع بين النقيضين في الشعر بقدرة الشاعر الفنية ،وابداعه في الجمع بين ضدين في قصيدة او بيت واحد وكذلك تكوينه النفسي،اذ يمتلك الشاعر جراة واضحة في المزج بين المتنافرات بصورة مدهشة وجميلة تدعو المتلقي الى التساؤل والبحث والتأمل [76] . ونجد ان الزاواء الدمشقي قد جمع بين البرد واللهب كنقيضين في تصويره للخمرة وامتزاجها بالماء في صورة خمرية يتجلى فيها التوافق بين الضدين عن طريق امتلاكه لقدرة فائقة في استخدام هذا الاسلوب الذي يكون مظهرا من مظاهر انتهاك

التراكيب اللغوية المألوفة،ومحاولة للدخول في علاقات جديدة تستطيع ان تتجاوب مع انفعالات المبدع واحاسيسه [77] . اذ يقول في الجمع بينهما [78] .

كأنها ولسان الماء يقـــرعها دمع ترقرق في اجفان منتحـب
اذا علاها حباب خلته شبكـــا من اللجين على أرض من الذهب
تصورت من أديم الكاس سورتها فأنبتت بردا منها على لهـــب

اذ يصور الفقاعات التي تعلو سطح الكاس عند مزجها بالماء بالبرد الذي يتجمد على سطح الكأس حين ملامسته للخمرة والتي كنى عنها باللهب ،اذ عرض صورة ذهنية جميلة جمع فيها بين نقيضين هما الثلج والنار ، كما ويعرض صورة اخرى قائمة على التشخيص الحركي والوصف اللوني وذلك بقوله [79] .....

قم يا غلام أسقني مشعشعة تسير بالكأس بالتباشيـــر
تجردت والزمان يحـــجبها كظلمة أطبقت على نـــور
تظن في كأسها اذا مزجـــت نجوم ليل تهوى لتغويـــر
او بردا قد أدبر دائـــرة من فوق نار بغير تسعيـــر

فالشاعر قد اعتمد على الدلالة اللونية في وصف حمرة هذه الخمرة ضمن صورة وصفية اذ استعار لفظة (مشعشعة) وهوامر حسي الى الخمرة لبيان شدة حمرتها ،وقد تخلصت من كافة شوائبها ، لكن الزمان يحجبها من ان تروي شاربيها كالظلام الذي يطبق على النور كناية عن الخمرة ، فاذا ما خالطها الماء يخال من يرمقها وكأن نجوم الليل قد هوت فيها ،أو أن برد الغمام قد تكور على شكل فقاعات تعلو فوق نار الخمرة المتقد من غير اتقاد، فأكسب الشاعر التشخيص الاستعادي بعدا حركيا بفعل عنصر الخيال الذي ((لايبدع مادة جديدة بل يفعل فعله على الجمع بين الاشياء، والتصورات ،والانفعال بعضها الى بعض فيحلل ويركب ،ويكبر ويصغر ليبدع صورة جديدة بحيث يغدو كل من الفكر ،والشعور موحدا لاينفصلان في التعبير الفني))[80]

الهتاف بالخمرة :

ومن الاساليب التي وظفها الواواء الدمشقي في خمرياته اسلوب الهتاف ،وهو لغة الصوت الجافي ، وقيل هو الصوت الشديد وهتفت بفلان أي دعوته [81] .وهو في استخدامه لهذا الاسلوب من التعبير ،انما يكشف عن تلك الرغبة القوية والافتتان تجاه هذه الخمرة ،وهو بهذا قد

حاكى ابا نؤاس في الهتاف بالخمرة في ظل الطبيعة الوارف مؤكدا على العلاقة القويـــة بـــين الطبيعة والخمرة التي بدورها تساعده على مباكرة الخمرة واغتنام اللذات في ظلالها [82] . اذ يعرض صور فنية حافلة بالفنون البلاغية كي يزيد من جمالية تأثيرها في النفوس لفظا ،ومعنى، وموسيقى .وهو ما عبر عنه بقوله [83]

قم يا غلام الى المدام	قم داوني منها بجـــام
فالصبح ينتهب الدجى	والبدر يضحك في الظلام
قم فأسقني برق الثغور	فقد مضى برق الغمـــام
بادر الى شرب الحميا	قبل بادرة الحمـــــــام
وتغنم الغفلات مـــن	دهرا يجور على الكـــرام

اذ يعمد الشاعر هنا الى الاساليب الطلبية عن طريق فعل الامر ، الذي كرره اكثر من مرة وفي ذلك تأكيد دعوة صاحبه الى ان يمتعه بشرب الخمرة ،وبعيش يجعله في صفاء وهدوء بعيدا عن الهموم فان من يداوي جراحه هو كأس الشارب الذي ينسيه ما حوله من احزان ،وان يبادر الى شرب الخمرة قبل ان يأخذ الصبح الظلام ويقضي عليهن فهذا أوان شراب الخمرة ووقتها ، لان البدر يضحك لمقدم ندمائه ، واصحاب سمره ، ونجده يكرر طلبه بسقي الخمرة يكنى عنها ببرق الثغور كنوع من التجانس اللوني لان برق الغمام قد مضى ورحل . ثـم يعـرض الـى صورة وصفية يبين فيها شدة هذه الخمرة وحرارتها وقوة تأثيرها عبر وصفه اياها بالحميا وان يسرع الى شربها قبل ان يبادر اليه الموت ويفرقه عنها . ثم يعرض الى دلالة نفسية تـصور مدى التأزم النفسي الذي يقود للهروب الى الخمرة من واقعه في دعواه الى اغتنام فرص اللذات من هذا الدهر، والزمن الذي يجور على الكرام من الناس كنوع من المواساة أو التمرد علـى محيطه وهو ما يؤكده ايضا بقوله .[84]

اسقني يا غلام فالعيش غض	وعيونا الخطوب عنا رقود
لاتدع عاجل السرور ويـــادر	فعساه يعود او لايعود

فهو يدعو الى استغلال اوقات السرور وان يبادر اليها كلما سنحت له الفرصة الى ذلـك وما دامت خطوب الزمان في غفلة عنه،لان اوقات السرور والسعادة لاتدوم فهـو يتخـذ مـن الهتاف بالخمرة والدعوة اليها لاجل الترغيب الذي يكون هو السابق وتحقيق النشوة والـسعادة الذي يكون هو اللاحق .وهو بهذا الاسلوب يحاول ان يأتي بجديد يختلف عن سابقيه كي يجلب انتباه المتلقي اليه بفضل ما يملكه من قوة وبراعة تنفي الواقع وتنقل المتلقي الى عالم أخر من المتعة والنشوة .

الخاتمة

وبعد هذه الجولة في خمريات الؤاواء الدمشقي نجد ان الخمرة شكلت عاملا مهما وبارزا في رسم صورة فنية من ناحية الزمان الذي كان حاضرا في لوحاتها عن طريق مفردة الليل التي كان لها جانب مهم في تشكيل الصورة الزمانية الفنية من حيث تصوير ليل الخمرة الذي سرعان ما ينقضي بأنبلاج الفجر الذي يصل فيه الشاعر الى أوج وصفه وهو عنده يشكل وقت اللهو والسمر ، واقتناص فرص الحياة والهروب من الواقع ليحلق في زمن وعالم خاص به ، فضلا عن ذكر الصباح الذي يداوم فيه على شرب الخمرة من اول الليل حتى انبلاج الصبح وهو الوقت الذي يبلغ فيه حالة النشوة والغبطة فتجود عليه بمختلف الصور والفنون ، فكان فعل الزمن واضح في شعره ومعبرا عن بعد نفسي وفكري. كما ارتبطت اجواء الخمرة بالمكان عن طريق تصوير الاجواء الخمرية في ظلال الحدائق والبساتين فتجود قريحة الؤاواء بأجمل الاوصاف بفضل تداخل الوان الطبيعة مع الوان الخمرة ،وما توحيه من اشكال واوصاف عن طريق امتزاجها بالماء فأسهمتا في تشكيل الصورة اللونية التي تعبر عن معاني الخمرة والاحساس بها ، وفضلا عن ما تقدم فأن الؤاواء لم يترك شاردة او واردة تخص الخمرة الا واشار اليها ناقلا حركة الساقي وكؤوس الشراب أو حركاتهما معا ، فضلا عن مجالس الندامى وحلقات السمر والشراب ، كما كان لعنصري التشخيص والتجسيد دور مهم في احياء الصور الفنية بطريقة تثير المتلقي الى جانب اسلوب بلاغي اخر تمثل بالجمع بين النقيضين عن طريق وصف صور الخمرة واشكالها وما تحدثه من أثر في نفسية شاربها الى جانب الافعال الطلبية التي اتخذ منها سبيلا في عرض الخمرة والهتاف بها بعرض اتسم بالقوة والجزالة . ومن هنا نجد ان الؤاواء الدمشقي قد ابدع في خمرياته بما اورده من صور واشكال امتزجت فيها الطبيعة السماوية بالطبيعة الارضية ، وجعل من المحسوسات تحاكي افعال الشخوص بفعل براعة الخيال وقوته ، الذي قاد الى الجنوح نحو الرقة والتمرد على القديم ،والقيم ،والاعراف فكان بذلك خير من مثل الذوق الشامي في العصر الحمد اني.

الهوامش :

1.ينظر – الغموض الشعري في القصيدة العربية الحديثة : 69

2.دراسات في الشعر والمسرح : 50

3.ينظر – طفولة الفن : 165

4. شرح القصائد العشر : 380 – 381

5. ديوان الاعشى : 17

6.ينظر – فن الشعر الخمري وتطوره في الادب العربي : 87

7.ينظر – شعر اللهو والخمر : 116

8.ينظر – فن الشعر الخمري وتطوره في الادب العربي : 59 وينظر –شعر الخمريات في ديوان ابن حمديس: 5-8

9.ديوان الاخطل 1 : 19

10.ينظر – تاريخ الادب العربى 1 : 368

11.ينظر – تطور الخمريات : 175

12.ينظر – دراسات في الشعر العربي : 40

13. ينظر – في حداثة النص الشعري : 15

14.ديوان ابي نؤاس: 156

15.ينظر – فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين : 341

16.ينظر – الادب في عصر العباسيين : 135

17.ينظر – ديوان الوأواء الدمشقي : 21

18.ينظر – تاريخ الادب العربي – عصر الدول والامارات – الشام : 263

19.ينظر – الادب في عصر العباسيين 2 : 136

20.ينظر – المصدر نفسه 2 : 137 – 138

21.فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة : 251

22.ينظر – ابو نؤاس بين العبث والاغتراب والتمرد : 143

23.ينظر –نقد الشعر في المنظور النفسي : 87

24.الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة : 68

25.ينظر – الشعر والزمن : 9

26.ينظر – الزمان والمكان في شعر المتنبي : 16 وينظر –شعر الخمريات في ديوان ابن حمديس:82

27.ديوان الوأواء الدمشقي 42.

28.في النقد والادب 1 : 126

29.ديوان الوأواء الدمشقي : 38

30.ينظر – ابن المعتز العباسي صورة لعصره : 277

31.ديوان الوأواء الدمشقي : 158

32.المصدر نفسه : 162

33.المصدر نفسه : 261

34.المكان والرواية الابداعية قراءة في نصوص من الشعر العربي : 38

35.ينظر – المكان في الشعر الاموي : 61

36. ينظر – الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالاندلس : 204 وينظر –شعر الخمريات في ديوان ابن حمديس: 104–105

37.ينظر –الادب العربي في الاندلس : 118

38.ديوان الزواوي الدمشقي : 121– 122

39.ينظر – وظيفة الادب بين الالتزام الفني والانفصام الجمالي : 16

40.ديوان الزواوي الدمشقي: 114

41.الخيال مفهوماته ووظائفه : 246

42.ديوان الزواوي الدمشقي: 270د

43.ينظر – الصورة الشعرية عند شوقي: 123

44.ينظر – دلالات الالوان في شعر المعلقات : 313

45.ينظر – قطوف دانية مهداة الى ناصر الدين الاسد 2 : 1355

46.ينظر – الاسس الجمالية في النقد العربي : 105

47.ينظر –شاعرية الالوان عند امرى القيس : 65

48.ينظر – الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي : 60

49.ديوان الزواوي الدمشقي : 184

50.المصدر نفسه : 111

51.ينظر – دلالات الالوان في شعر المعلقات : 316

52.ديوان الزواوي الدمشقي: 35

53.ينظر – الثابت والمتحول2 : 118

54.القديم والجديد : 362

55.ديوان الزواوي الدمشقي : 161

56.النقد الادبي الحديث اصوله واتجاهاته : 55

57.ينظر – الحركة في شعر الاخطل التغلبي : 140

58.ينظر – الصورة الشعرية عند النابغة الذبياني : 272

59.ديوان الزواوي الدمشقي : 207

60.قضايا الفن في قصيدة المدح العباسية : 367

61.ديوان الزواوي الدمشقي : 179

62.ينظر – شعر اللهو والخمر : 154

63.قضايا الفن في قصيدة المدح العباسية : 474

64.ديوان الوأواء الدمشقي : 44 وينظر المصدر نفسه : 5

65.ينظر – المصدر نفسه : 35

66.تطور الخمريات في الشعر العربي من الجاهلية الى ابو نؤاس : 26

67.ينظر – ديوان الشعر العربي2 : 18

68.ديوان الوأواء الدمشقي : 43

69.المصدر نفسه : 241– 242

70.حلبة الكميت في الادب والنوادر والفكاهات المتعلقة بالخمريات : 14

71.ينظر – الشعرية العربية: 61

72.ديوان الوأواء الدمشقي: 38

73.ينظر – في عالم الجمال : 461

74.ديوان الوأواء الدمشقي : 244

75.ينظر –القاموس المحيط – مادة نقض

76.ينظر – الجمع بين نقيضين بحث : 746 وينظر –شعر الخمريات في ديوان ابن حمديس: 151

77.ينظر – الاستعارة التنافرية بحث : 58

78.ديوان الوأواء الدمشقي: 39

79.المصدر نفسه : 106

80.تطور الشعر العربي الحديث في العراق : 41

81.ينظر – لسان العرب – مادة هتف

82.ينظر – شعر الطبيعة في الادب العربي : 270– 271

83.ديوان الوأواء الدمشقي : 201 – 202

84. المصدر نفسه : 75

قائمة المصادر

- ابن المعتز العباسي صوره لعصره ، د. سعد اسماعيل شلبي ، دار الفكر العربي ، الكويت ، 1981م
- ابونؤاس بين العبث والاغتراب والتمرد ، احلام الزعيم ، ط1 ، دار العودة، بيروت ، 1981م
- الادب العربي في الاندلس ، تطوره واشهر اعلامه ، علي محمد سلامة ، الدار العربي للموسوعات ، 1989م
- الادب في عصر العباسيين ، د. محمد زغلول سلام .ط1 ، مركز الدلتا ، القاهرة، 1999م
- الاستعارة التنافرية في نماذج الشعر الحديث بحث مشترك ، بسام قطوس. د موسى ربابعة، مجلة جامعة مؤتة ،م3،ع1 ،1994م

- الاسس الجمالية في النقد العربي ، عز الدين اسماعيل ، ط3 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1974م
- تاريخ الادب العربي ، عمر فروخ ، ط2 ، دار العلم للملايين ، 1969
- تاريخ الادب العربي – عصر الدول والامارات – الشام ، شوقي ضيف ، ط1 ، ذوي القربى ، القاهرة ، 1990
- تطور الخمريات في الشعر العربي من الجاهلية الى ابي نواس ، جميل سعيد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1945م
- تطور الشعر العربي الحديث في العراق ، علي عباس علوان ، منشورات وزارة الاعلام ، العراق 1975م
- الثابت والمتحول ، علي احمد سعيد ، ط1 ،دار الساقي ، بيروت ، 1994 م
- الجمع بين النقيضيين في الشعر الاندلسي ، الماء والنار انموذجا في ديواني ابن حديس وابن خفاجة ، د.حميدة البلداوي ، مجلة كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد م245، 2004م
- الحركة في شعر الاخطل التغلبي ، اسماعيل العالم ، مجلة ابحاث اليرموك ، م 17 ، 14، 1999م
- حلبة الكميت في الادب والنوادر والفكاهات المتعلقة بالخمريات ، شمس الدين محمد بن الحسن النواحي ، المكتبة العلامية ، مصر ، 1938.
- الخيال ووظائفه،عاطف جودة نصر ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1984
- دراسات في الشعر العربي د.عطا البكري ،ط1 ،مط .الارشاد ،بغداد،1967
- دراسات في الشعر والمسرح،مصطفى بدوي،دار المعرفة، القاهرة،1960
- دلالات الالوان في شعر الملقات،جواهر محمد امين ،مجلة كلية التربية للبنات،جامعة بغداد، م13، ع14،2001
- ديوان ابي نواس،تح،احمد عبد المجيد الغزالي،دار الكتاب العربي،بيروت،1982
- ديوان الاخطل .تح.د.فخر الدين قباوة،ط2،منشورات دار الافاق الجديدة،1972
- ديوان الاعشى ،تح .د.محمد محمد حسين،ط7 ،مؤسسة الرسالة،بيروت،1983
- ديوان الشعر العربي،علي احمد سعيد،ط1،المكتبة العصرية ،بيروت،1964
- ديوان الوأواء الدمشقي،لابي الفرج محمد بن احمد الغساني ،تح.د.سامي الدهان،مط.الهاشمية ، دمشق، 1950

- الزمان والمكان في شعر المتنبي دراسة تحليلية،د.حيدر لازم مطلك،كلية الاداب ،اطروحة دكتوراه،جامعة بغداد،1991
- الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة،سعيد عبد العزيز،ط2،مكتبة الانجلو المصرية،1970
- شاعرية الالوان عند امرى القيس،محمد عبد المطلب ،مجلة فصول،م5،ع2، 2001
- شرح القصائد العشر ،للخطيب التبريزي،تح.محمد محيي الدين عبد الحميد ،ط2،مط. السعادة،مصر،1964
- شعر الخمريات في ديوان ابن حمديس،عبيرفاضل هادي/رسالة ماجستير /كلية التربية للبنات / جامعة بغداد / 2009 .
- شعر الطبيعة في الادب العربي ،سيد نوفل، ط2،دار المعارف ،القاهرة،1945
- شعر اللهو والخمر تاريخه واشهر اعلامه،جورج غريب ،ط1،دار الثقافة،بيروت،1966
- الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالاندلس،د.محمد مجيد السعيد ،دار الرشيد،بغداد،1980
- الشعر والزمن،جلال الخياط،دار الحرية،بغداد،1975
- الشعرية العربية،علي احمد سعيد ،دار الادب، بيروت،1985
- الصورة الشعرية عند شوقي،ثائر محمد جاسم الجبوري،رسالة ماجستير ،كلية الاداب،جامعة بغداد،1987
- الصورة الشعرية عند النابغة الذبياني ، عباس محمد رضا حسن ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، 1991 م
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، د. جابر عصفور ، ط2 ، بيروت ، 1983م
- طفولة الفن ، كوفمان ، ترجمة وجيه اسعد ، منشورات وزارة الثقافة السورية ، دمشق ، 1989م
- الغموض الشعري في القصيدة العربية الحديثة ، دريد يحيى الخواجة ، دار الذاكرة حمص ، 1990م
- فلسفة الجمال ونشاة الفنون الجميلة ، حمد علي ابو ريان ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1984م
- فن الشعر الخمري وتطوره في الادب العربي ، ايليا الحاوي ، دار الشرق ، بيروت ، 1981م
- فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ، مصطفى الشكعة ، عالم الكتب ، بيروت ، دت
- في حداثة النص الشعري ، علي جعفر العلاق ، ط1 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1990م

- في علم الجمال ، جان برتلملي ، ترجمة انور عبد العزيز ، دار نهضة مصر ، 1970م
- في النقد والادب ، ايليا الحاوي ، ط4 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1979م
- قاموس المحيط للفيروز ابادي ، ط2 ، مط. مصطفى البابي الحلبي واولاده ، مصر ، 1952م
- القديم والجديد ، محمد كامل الخطيب ، مطبوعات وزارة الثقافة السورية ، دمشق ، 1989م
- قضايا الفن في قصيدة المدح العباسية ، د. عبد الفتاح النطاوي ، دار جورج للطباعة ، القاهرة ، 1981م
- قطوف دانية مهداة الى ناصر الدين الاسد ،جمالية اللون في شعر زهير ابن ابـــي ســـلمى ، د. موسى ربابعة ، ط1 ، وزارة الثقافة ، الاردن ، 1997م
- لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، 1956م
- المكان والرؤيا الابداعية قراءة في نصوص من الشعر العربي ، د. نادية غازي جبر ، مجلـــة افاق عربية ، ع3 ، ع4، 1998م
- المكان في الشعر الاموي ، جميل حمد الزهيري ، اطروحة دكتورا ، كلية التربيـــة ، الجامعـــة المستنصرية ، 2004م
- النقد الادبي الحديث اصوله واتجاهاته ، د. احمد كمال زكي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1972م
- نقد الشعر في المنضور النفسي ، د. ريكان ابراهيم ، ط1 ، مط. دار السؤون الثقافية العامـــة ، بغداد ، 1989م
- وظيفة الادب بين الالتزام الفني والانفصام الجمالي ، د. محمد النـــويهي ، مـــط ،. الرســـالة ، مصر، 1967.

Wine poems is one of the Damascus Wa,a Wa,a

Abstracter

Wine poems is one of the poetic themes Which has taken s distinguished importance in reuilty as well as in art especity in Abbasenian age . this age is considered to by an age of variation collores and harmony between civilization , convention ,believes and ideas , the Damascus Wa,a Wa,a one of this kind . his one of arts that are tackled professionally by its writer showing the beauty of form and content honestly and powerfully by releasing the self from the bitter reality .

These poems presents the shame test which is known by its well known as the Golden design . in this research every thing that previonsly mentioned is presented by time , place ,color and mation in his poetre speech , which is enriched and loaded by his significamce that included over wheling emotional and esthetis stuation.